



إبيارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

فبراير ٢٠٢٠ م

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات

أبنائي وبناتي الأعزاء جداً

هل تتذكرون تلك المشادة التي قامت في إحدى المرات بين تلاميذ ربنا يسوع المسيح لما كانوا على الطريق؟ إنهم إذ كانوا يظنون أن ربنا يسوع المسيح كان ملكاً أرضياً أتى ليستعيد مملكة داود تجادلوا حول من هو الأقرب للرب ومن يكون الأعظم في ملكوته. عندما سأل ربنا يسوع المسيح: "بماذا كنتم تتكلمون في ما بينكم في الطريق؟" (مر ٩: ٣٣) كانوا خجلين جداً حتى أنهم لم يقدرُوا أن يجيبوه. وإذا كان يعلم قلوبهم قال لهم: "إذا أراد أحد أن يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل" (مر ٩: ٣٥). لقد قال ربنا يسوع المسيح ذلك لكي يعلمهم ويعلمنا المبدئين المطلوبين للوصول للعظمة الحقيقية في الملكوت الحقيقي.

كيف يمكن تطبيق المبدأ الأول وهو أن نكون آخر الكل؟ يمكننا أن نبدأ بأن نفضل الآخرين على أنفسنا في كل من الاحتياجات والكرامة، ولكن في الكرامة على وجه الخصوص. ينبغي أن نمتنع عن تمييز أنفسنا وألا نسمح لأنفسنا بأن نُعامل بشكل مختلف أو نحصل على استثناءات. إننا نتعلم من القديس يوحنا المعمدان عندما أتى إليه تلاميذه وأخبروه أن يسوع كان يعمد وأن الجميع كانوا يذهبون إليه والذي على الرغم من أنه كان معروفاً كنبى عظيم أجاب باتضاع بتلك الكلمات الجميلة: "ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص" (يو ٣: ٣٠).

إننا نستطيع أن نتعلم أيضاً أن نقنتي قلوب متواضعة. لماذا لدينا صراعات في جماعتنا؟ لأن كل أحد يريد أن يكون الأول والأعظم في تلك الحياة الأرضية. يشعر كل أحد أن طريقته ورأيه هما الصحيحان ويرفض أن يخضع عن طيب خاطر أو أن يفضل الآخرين على نفسه. يقول القديس اسحق السرياني: "أما الذين يحيون للعالم فلا يقدرُونَ أن يتحملوا الظلم. هؤلاء، إما أنهم يتحركون بدافع المجد الباطل فيغضبون ويضطربون بلا وعي، وإما أنهم مستحوذون بالحزن. آه ما أصعب اقتناء فضيلة كهذه، وما أعظم مجدها عند الرب! من أراد

نيل هذه الفضيلة، أي تحمل الظلم بطول أناة، يحتاج إلى بعد وتغرب عن الأهل والأقرباء، لأنه من المستحيل نيلها في الوطن"^٣. لو أن ذلك ينطبق على أولئك الذين أتهموا ظلاماً فماذا عنا نحن الذين يتعين علينا ببساطة أن نخضع لرأي شخص آخر؟

يستطرد القديس اسحق قائلاً: "كما تدنو نعمة الله من المتواضع هكذا تقترب المصائب الصعبة من المتكبر. عينا الرب على المتواضعين لكي يفرحهم. أما وجهه فعلى المتكبرين لكي يذلهم"^٤. "لأن الله يقاوم المتكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (١بط ٥: ٥). ربنا يسوع المسيح خالق الكل خضع ليس فقط لوالديه الأرضيين ولكن لسلطة الحاكم. ماذا نقول عن أنفسنا نحن الذين لا نفعل أي من تلك الأمور؟

يستطيع البعض أن يتظاهروا بكل ذلك، وأن يدعوا أنهم آخر الكل بشكل ظاهري ولكنهم يشعرون في داخلهم بشيء مختلف تماماً. إن شعور المرء بأنه آخر الكل بحق هو شعور داخلي حقيقي ويظهر بشكل طبيعي في سلوكياته وتصرفاته. الشخص الذي يرى نفسه بحق آخر الكل يعرف أنه ليس إلا تراب ورماد، وأن أي شيء صالح فيه هو فقط بسبب نعمة الله. ما لم نقتن ذلك الشعور داخلياً فإننا لا نكون سالكين في طريق العظمة. لو كنت تريد أن تكون عظيماً في ملكوت الله فإنك بحاجة لأن تتبع المبدأ الأول.

المبدأ الثاني هو أن تكون خادماً للكل ونستطيع أن نناقش أربعة شروط لتحقيق ذلك. أولاً، ينبغي أن نسرع لمساعدة الآخرين حتى عندما لا يطلبون المساعدة بل عندما نشعر في داخلنا بضرورة تقديم المساعدة. عندما أخبر رئيس الملائكة جبرائيل السيدة العذراء بأن أليصابات حبلت في الشهر السادس ذهبت بسرعة لخدمتها. على الرغم من أن أليصابات كانت تخفي حملها وكان من الممكن أن تعتفي القديسة مريم من خدمتها وتقول: "ما من أحد أخبرني. هي لا تعرف أنني أعرف. لماذا ينبغي عليّ أن أعرض المساعدة؟" إلا أنها ذهبت على كل حال وذهبت "بسرعة" (لو ١: ٣٩). كانت القديسة مريم في ذلك الوقت حبلت في الشهر الثالث ومن المعروف أن تلك هي أصعب شهور الحمل ولكنها وضعت نفسها آخر الكل وذهبت بسرعة إلى الجبال لتخدم نسيبتها. هذا هو قلب الخادم الحقيقي.

ثانياً، ينبغي أن نخدم باتضاع. يخبرنا الكتاب المقدس أن القديسة مريم رجعت إلى بيتها قبل ولادة يوحنا المعمدان. لماذا؟ لأن الكثيرون أتوا في هذا الوقت لمساعدة أليصابات. لقد ذهبت القديسة مريم لكي تخدم لا

^٣ . نسكيات مار اسحق السرياني – المقالة الخامسة

^٤ . نسكيات مار اسحق السرياني – المقالة الخامسة

لكي تتفاخر أمام الناس وبالتالي هي خدمت سرّاً (وكافأها الله علانية). أحياناً عندما نخدم نريد أن نعلن ذلك بحيث يعرف الآخرون ويمتدحون عملنا الحسن.

ثالثاً، أحياناً عندما نخدم نحب أن نفعل ذلك مع أناس ذوي مكانة. ولكن ماذا عن كل الآخرين؟ هل نريد أن نخدم كل أحد بنفس السرعة والفرح أم فقط أولئك أصحاب المكانة؟ عندما نخدم شخصاً مهماً ربما نتلقى نوعاً من المكافأة من خلال نوع من الإشباع ولكن ماذا عن خدمة أولئك الذين لا يستطيعون أن يردوا لنا الصنيع؟ (لو ١٤: ١٣-١٤). لو كان لديّ قلب خادم فإنني سأخدم كل أحد بالتساوي وعن طيب خاطر بغض النظر عن مكانته.

رابعاً، ينبغي علينا أن نرغب في التضحية بأنفسنا من أجل الخدمة فأحياناً لا نريد التضحية بأنفسنا ولا نريد الذهاب إلى الميل الثاني. يسمى الميل الثاني "ميل الحب" لأنني لو سرت فقط الميل الأول يكون ذلك بسبب أنني أُجبرت على ذلك، ولكنني إن سرت الميل الثاني فإنني أفعل ذلك بكامل إرادتي ورغبتني من منطلق المحبة.

يتطلب الميل الثاني منا أن نعطي أكثر من الحد الأدنى. البعض منا يعيشون بمبدأ "الحد الأدنى المطلوب" راغبين باستمرار أن يعرفوا ما هي أقل التوقعات المطلوبة منهم لكي لا يقدموا أي شيء أكثر منه. ما هو الحد الأدنى في الصلاة؟ في الذهاب للكنيسة؟ في الصوم؟ ما هو الحد الأدنى المطلوب لكي أستطيع الذهاب للسماء؟ ليست هذه روح الخادم. روح الخادم تعطي بدون تحفظات في خدمة الله وخدمة الآخرين. ينبغي أن تتبع تلك الخدمة عن قلب يحب الله ويحب الإخوة، وبسبب ذلك هو يخدم الآخرين بلذة وفرح، لا بشكوى وتذمر. بذبائح مثل هذه يُسر الله.

حتى في العالم، عندما يتحدثون عن الأنماط المختلفة للقيادة، فإنهم يذكرون "القيادة الخادمة" كأفضل نوع. القيادة الخادمة، مقارنة بالقيادة المتسلطة والأنواع الأخرى من القيادة، هي نوع من القيادة يعطي فيها القائد أولوية لاحتياجات فريقه ويشجع اتخاذ القرار بشكل جماعي. لقد خدم ربنا يسوع المسيح كل أحد بدون تمييز. "لأن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليُخدم" (مر ١٠: ٤٥). أحياناً عندما نحصل على مركز معين فإننا نتوقع من الناس أن يخدمونا، وعندما لا يحدث ذلك نشعر بالإحباط ولكن المبدئين ينطبقان على الجميع أي الخادم والسيد.

يعني أن نكون آخر الكل ألا نطلب استثناءات أو مميزات وأن نفضل الآخرين على أنفسنا، وخصوصاً في الكرامة، وأن نكون مطيعين وخاضعين. لو كنا مقاومين ومتمردين فإن ذلك يكون بسبب كبريائنا، والله يقاوم المستكبرين. إننا إذ نفضل الآخرين على أنفسنا ونقتني قلوباً متواضعة نتحرر من أفكار الإدانة والصراع. عندما نشعر أننا آخر الكل فإننا نشعر أن الآخرين أفضل منا، وأن كل الأشياء الصالحة لا تأتي إلا من فوق. الكنيسة لا تشجع صغر النفس ولكنها تشجع التواضع. أنا أعرف أنني لا شيء ولكنني "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" (في ٤: ١٣). لو كنت أعرف أنني لا شيء فإنني لن أضع نفسي قط فوق الآخرين، وسوف أحتمل ضعفات الآخرين عارفاً ضعفاًتي أنا أيضاً. ربما هم ضعفاء في بعض النقاط ولكنهم أقوى مني في نقاط أخرى.

لقد أرانا ربنا يسوع المسيح الطريق للعظمة الحقيقية. الكثيرون لا يفهمون ذلك. ولكن الرب أخبرنا أننا لو كنا نريد أن نكون الأولين في ملكوت السموات ينبغي علينا أن نطبق هذين المبدئين: أن نكون آخر الكل، وأن نخدم الجميع.

سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح يكونا مع جميعكم.

المجد لإلهنا إلى الأبد آمين.